الدهر فمن هو (أسامة بن منقذ).

منشؤه وثقافته:

في مدينة (شيزر) الصغيرة الواقعة على بعد خمسة عشر ميلاً إلى الشمال الغربي لمدينة (حماة) والقائمة على ربوة عالية يحيط بها نهر العاصي من جوانبها الثلاثة، فتبدو حصينة نادرة المثال وتزيدها قلعتها القوية وأبراجها الحصينة، مناعة على مناعة. أجل في هذه المدينة ولد (أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ) يوم الأحد السابع والعشرين من جمادى الأخرى 488هـ في بيت إمارة وسؤدد وفي أسرة مجيدة عريقة ترتفع بأصولها وأنسابها إلى الدوحة الكنانية الباذخة الشماء، ونشأ في حجر أب تقي شجاع لا عمل له إلا الصيد وأعمال الفروسية وقراءة القرآن، ويشتهر (أسامة) منذ حداثته بشجاعته وصلابة عوده وجرأته، فيصبح أثيراً لعمه (أبي العساكر سلطان) أمير (شيزر) وسيدها في تلك الأيام.

ويلمح عليه سيماء الشجاعة ومخايل السيادة فيدخره لمستقبل -شيزر- سيما وأنه كان من غير عقب، فيرعاه أحسن رعاية.

وبحكم نشأته الارستقراطية تلك، كان لابد من التدريب على فنون القتال ومنازلة الأقران، ومصارعة الأسود، والصبر على المشاق واحتمال المصاعب، كما تهيأ له أن يتلقى الثقافة الرفيعة التي يتلقاها أمثاله من الأمراء، فدرس الحديث والفقه والأدب والنحو الصرف واللغة، وحفظ الكثير من الشعر وكلام البلغاء، هذا بالإضافة إلى ماسمعه من أفواه الشعراء المعاصرين، والذين كانوا يقصدون أباه وأعمامه، بشعرهم ونتاج قرائحهم على عادة أهل ذلك الزمان.

كل تلك الأجواء، جعلت (أسامة) يشب على غير مثال، فيتهيبه عمه ويخاف منه على ولده بعد أن رزق الولد بأخرة، فيقلب له ظهر المجن ويتنكر له ويجبره على مغادرة مسقط رأسه -شيزر- ليبدأ حياته من جديد بالتنقل والترحال بين قصور الحكام في طول الوطن وعرضه.

ويذهب أول ما يذهب إلى (عماد الدين الزنكي) في (الموصل) وقد تألق نجمه في قتال الصليبين وينتظم في جنده، ويحارب تحت قيادته.

ولكنه يعود إلى -شيزر- وقد تعرضت لأذى الروم والفرنجة، ليذود عنها ويبلي بلاء حسناً في قتالهم والذود عن حماها ومعاقلها، ولكن عمه يعود فيأمره